نـافـذة

استقاء الثقافة العربية

بناؤها تراتبيتها، من أين حضرت وتجمعت وبقيت خجولة، من تراكم عدم الاعتراف، أم من فعل ولم يفعل، قال ولم يقل، الشك قائم بين الحالتين، تخادع الذاكرة حاملها محدثة في العقل خلطاً يعود ليبحث فيها، ويفرز الشك من اليقين من خلال التركيز والانتباه إلى أن تصل إلى عين الحقيقة التي تريك أي الطرق سالكة، أو ستسلك، ومحاور الأفئدة وما تملك، وقبل أن تضع قدمك على أول مساربها، تسألك: هل تقدر على أن تحارب من أجل الوصول إلى هدفك؟ هل تحب الحرب بالقتال مستخدماً الأسلحة أو الكلمة أو الحكمة التي تمثل الإقناع والاقتناع؟ ولحظة محاولتك للمسير، هل تعلم بأنك تسير ضمن قناعتك المؤمنة في حقك الذي يوصلك إلى الأمام وعدم بقائك حيث أنت، أو تعلم عن تراجعك بشكل خاص مع إيمانك بأنك في عالم يطلق عليه التخلف أو الحبو نحو النمو، وفهمك العميق لمغزى تدخل الآخر في شؤونك، فإذا أدركت؟ وصلت وحصلت وتواصلت مع كل ما يجري معك وحولك وما يصيبك من مآس، وتتعرف من كل ذلك بأن الله لا دخل له في كل ما يجري، إنما نحن البشر نصنع الخير والشر، ونرمي بهما في بحيرات الاختيار، وليصطاد من يريد ما يريد، وبعد ذلك تقرر بأنك إنسان أو بشر تنتمي لمجموعة، وعالم أو عوالم تختار ما تعتنق من مبادئ وقيم، وأفكار الحرب والسلم وما بينهما الاستقرار، الاستمرار، البقاء مع التخلف، السعي نحو التقدم والتطور، تتوضح بعدها ومن خلال قراءة الأحداث مفاهيم الاتجاه للتغيير، لتقدير المصير، لتحديد الاتجاه، لرسم الشخصية التي ينبغي أن نكون تابعين مريدين ومحررين من القيود، مؤمنين وجوديين ملحدين، ماذا نريد، وإلى أين نسعى أن نكون لحظات تقرير المصير، ترسمها الأحداث، وتبني من خلالها صورة ما سيحضر من القادم الذاهبين إليه.

النصر حليف دائم لأولئك الذين يخوضون الحروب بثقة وقوة وإيمان، بأنه لن يخذلهم بعيداً عن الحب والكراهية والعواطف ومنح الثقة إلى هنا أو هناك، فإذا أردنا الوصول لذلك فعلينا التخلص من تلك الأمثال التي غرزها المستغلون لنا ولقدراتنا وموارد نا من ذاك الموغل في القدم، فهل نعي وندرك ما نتناوله من أحاديث، ونتداول من أمثال فيما بيننا، وتلك الأهازيج التي يتداولها الأطفال في الأعياد، مثل يا أولاد محارب يجيبون بـ (لو لو) شدوا القوالب (لولو) إلى نهايتها التي يغفل الكثيرون عن مقاصدها الخبيثة، وفيروز عندما تغني أجراس العودة فلتقرع، ويجيبها مظفر النواب عفواً فيروز ومعذرة أجراس العودة لن تقرع، وكثير من أغانينا وتيماتها العبرية، وإن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب، والذي يسبق يأكل البندق، ويلي طالع الحمار على المئذنة ينزله، وألف عين تبكي ولا عيني، وبيضة اليوم ولا دجاجة الغد، وعصفور باليد ولا عشرة على الشجرة، وضع في يدي ولك ما شئت من خلفي، وإذا رأيت الأعمى طبه لست بأكرم من ربه، فالمسيحي يحذر أبناءه من الخروج إلى الحارة، كي لا يخطفه الآخر على حين غفلة، والمسلم يخاطب أبناءه ناصحاً بالانتباه من اليهودي الذي سيأخذه إلى سريره الأبري من أجل تحضير كعكة الفطير، حط رأسك بين الرؤوس وقل يا قطاع الرؤوس، وإذا جن شعبك جن معه، سياسة دبر رأسك ولا تدع أحداً يمسك بك، وخذ من ملتك كي لا تموت بعلتك، ويداك أوكتا وفوك نفخ، والكثير الكثير من لغة التفرقة وتعزيز الأنا، والتقوقع والفرز الطائفي الذي مر ويمر بنا من دون أن نعي المغازي العميقة منها، هلّا تفكرنا في ذاك المحتل والمعتدي الذي أوجد كل ذلك من أجل أن يحصد دائماً النتائج، من خلال الأحداث التي تتكرر كل ثلاثين أو أربعين أو خمسين سنة، من طوشة النصارى والحروب القديمة بين الطوائف والمذاهب وتشجيع على استعار أتونها كي لا تهدأ، واشتعالها بين الفينة والأخرى، ألا ينبغي أن نستيقظ مما نحن فيه وعليه، نستحضر الواقع فنعلم أننا موجودون فيه أولاً، وثانياً نفهم ماهية ما يحدث وارتباطاته بما أسكن في عقولنا من تعاليم رسمت بدقة من أجلنا، نأخذ بها بوعي الخبث أو بجهل الواقع.

السؤال الكبير الصغير الدقيق والواقعي نطرحه بغاية إعلامنا عن مسؤولية من، استمرار هذه المفردات الملعونة والمبرمجة وتداولها بين جمهرة الناس على اختلاف مشاربهم ومواقعهم، ومن جيل إلى جيل، ألا يدعونا كل ذلك للتأمل فيما نحن عليه والاتجاه مباشرة إلى بناء ثقافة الجمع والـ نحن، والعمل الحثيث لمحو تلك الأميات الاجتماعية والدينية التي تحولت على ما يبدو إلى أدبيات استوطنت حيزاً كبيراً من ثقافتنا، ونعود لبناء أسس تربوية خلاقة ومبدعة، ماذا يعني لنا الاستثمار في البشر الذي يقع على عاتقه إعادة بناء الحجر؟ وأكثر من ذلك الإبداع في حركته ومسيره وكامل المساعدات والمؤثرات المحيطة لخدمته، والإيمان النوعي بأنها تخدم غيره من المحيط القريب والبعيد.

في نهاية الأسبوع الماضي اجتمع مولد الرسول العربي محمد عليه السلام، وميلاد السيد المسيح، وفي العام الذي مضى كانا قريبين من بعضهما، وهذا لا يحدث إلا كل ٤٥٧ سنة، مصادفة مميزة كيف احتفينا بهما، وكيف أنّ العالم سيحتفي غداً بولادة عام جديد ٢٠١٦، ولولا أنهما قدما ما لا يستطيع من البشر تقديمه، فهل كانا حققا هذا الحضور، وهما البنّاءان اللذان صنعا أمتين؛ المسيحية أولاً، والمحمدية الإسلامية ثانياً، وقبلهما طبعاً اليهودية الموسوية، وما قدمه الثلاثة من رسالات شكلت مثلثاً دقيقاً للقداسة الحقة التي كانت غايتها الوحيدة طهر الإنسان من الدنس، وسماحته أمام أخيه الإنسان، هلّا توقفنا مع ما قدموه، وتذاكرنا ما أرادوا أن يوصلوه لنا؟ أم إنها احتفاليات تمر وتنسى، حتى تحضر في عامها القادم وهكذا دواليك؟ هلا عرفنا من أين نستقي ثقافتنا وماهية مرتكزاتها، كل عام لجميعنا وأنتم بألف خير، وسنة جديدة نخلص بها مما ركب على ثقافاتنا.

د. نبيل طعمة

رسائل الفنانين عبر «الوطن» بمناسبة العام الجديد

لا نريد النظر إلى الوراء عسى أن ينتهي الكابوس

عامر فؤاد عامر

التقى في هذا الشهر مولدان مقدّسان تهتم بهما الناس لمدى بعيد في المحبّة والاعتزاز، فقد كان لدينا المولد النبوي الشريف وتلاه الميلاد المجيد، فكان اللقاء رمزاً جميلاً لمن يعتبر ويهتم. وتستمر احتفالات العالم بالأعياد لاستقبال عام جديد يحمل آمالاً كثيرة جديدة على الصعيد الشخصي لكل منّا، وعلى صعيد التطلع في الخير للآخر، واليوم لدينا مجموعة من المعايدات التي شاركنا بها الفنانون السوريون والتي جاءت في أغلبها الأعظم أمنيات لخير البلد والانتهاء من سلبيات تركتها الحرب خلال السنوات التي مرّت.

القلب الصافي

الفنانة «جيهان عبد العظيم» التي كانت لها خلال عام ٢٠١٥ زيارة لمكاتبنا في الجريدة، تقول لنا: «علينا أن نكون يداً واحدة أكثر من أي وقت مضى وعلينا أن نكون واعين أكثر لكل ما يواجهنا من متاعب، ومن يستطع مدّ يد العون فعليه ألا يقصر في ذلك ولا يخجل من مقدار عطائه، فمعايدتي وتهنئتي لكم في العام الجديد هي في الدعوة لنكون قلباً واحداً صافياً نضمد جراحنا متأملين بفجر جديد ينهي مشاكل الجميع في العام المقبل ٢٠١٦ ».

نريد العدالة

النجمة «ليلى سمّور» وفي معايدة منها كانت هذه الكلمات: «أحلم بوطن يعود كما كان، وأحلم بشعورنا بالأمان والسلام كما كنا، وبعودة الناس لمحبّة بعضها وأن أرى العدالة بوضوح بين الناس، وليتعافى وطننا».

عام الخير

الفنان «أيمن عبد السلام» وكعادته وبروح التفاؤل يقول: «لا نريد النظر للوراء ولما حصل من ذكريات مشوهة، نريد في العام الجديد أن نرى بعين التفاؤل والفرح، نريد أن تكون أيامنا أجمل وهانئة، نريد لسورية الخير، إن شاء الله عام ٢٠١٦ يكون عام الخير والانتهاء من المشاكل كاملة».

للعيد معنى باطني جميل جداً نختصره بدلالة الجذر الثلاثي «عيد»، والمفهوم الحقيقي منه أن يعيد المرء صياغة نفسه مجدداً وبصورة الولادة الجديدة ناسياً أحقاد الماضي والمشاكل المتراكمة في أيّام سبقت، وبذلك يكون للإنسانيّة ولادة متجددة وانطلاقة حقيقية.

التسلح بالأمل

الفنانة «ميس حرب» صاحبة الصوت النقي شاركتنا أيضاً بهذه الكلمة: «رغم كل الألم اللي مرق عا بلدنا والأوجاع اللي سكنت بقلوب كتار.. ما فينا اللا نتسلح بالأمل ونتمنى تكون السنة الجديدة مليانة خير ومحبة وسلام على كل السوريين».

خيط المشاعر

الفنان «عامر علي» في معايدة سماها الحزينة يقول: «بما انو حياتنا صارت خليط من المشاعر المتضاربة والألم والحزن غالب عليها.. بتمنى بالسنة الجديدة يكون الوجع أخف والجرح ما يكبر.. ويبقى الأمل عايش فينا».

حب وسلام

الفنانة «علا بدر» كان في أمنياتها شيء خاص للدراما السوريّة وعلى صعيدها الشخصي أيضاً: «بتمنى بالسنة الجديدة التي أتفاءل فيها كثيراً – ثقة بالله – أن يكون على الصعيد العام، الله يفرحنا بسوريتنا، ولتتعافى، وتكون سنة مملوءة بالحبّ والسلام والفرح، ولتكون بداية لكلّ شيء حلو وخيّر، وأتمنّى للدراما السوريّة أن تصير أهمّ وأن نزداد قوّة فيها، وتقوى وألا نسمح للمستوى بالهبوط أبداً». أمّا على الصعيد الشخصي فأضافت: «الله يخليلي أهلي ويحميهم ويسعدهم، وأن أجسّد دوراً يقدّم لي نقلة نوعية في حياتي ويشبع لي طاقاتي، وأن يعجب الناس، ويلفت نظرهم ويصل لقلبهم».

لا يمكن للعيد أن يبقى في معنى ضيق فالبعض يشير إلى أن مفهوم العيد تقلص لمستوى متدن جداً فمن هذا المفهوم الدارج اليوم نرى الاهتمام بنمط السهرة ومكان السهر والإغراق والمبالغة في الفرح لدرجة المجون، وتراكم الأخطاء من جديد في أهم يوم يمكن أن يكون يوم العودة للذكرى ومحاسبة النفس على ما اقترفته، كما يكون الاهتمام أكثر في شكل الطعام وألوانه والمبالغة في تعداد الأصناف وطريقة طهوها وإلى آخره لتكون المائدة عامرة بالمزيد من الماديات التي تبعد المرء عن المعنى الحقيقي للعيد.

السلام لبلدي

الفنان محمود نصر في معايدة مختصرة تحمل روح التفاؤل منه يقول: «إن شاء الله سنة ٢٠١٦ تكون سنة خير، مليانة محبة وفرح وسلام لبلدي الغالي وللناس أجمعين».

صمدنا بجدارة

الفنانة «تانيا ماريا صقال» عايدتنا بهذه الكلمات: «بنهاية سنة ٢٠١٥ شكر من القلب لكل ما قدمته لي من أوقات رائعة وأوقات صعبة كانت سنة قاسية على كل السوريين ولكننا صمدنا بجدارة أما أمنيتي للسنة القادمة فستكون الأمن والمحبة وبكل تأكيد السلام لبلدي سورية ولكل بلدان العالم.. وكلمة أخيرة هي شكر وعربون محبة وامتنان لكل من كان سندا ودعما لي.. مع حبي».

ابتسامة التحدي

الفنانة «ربى الحلبي» تشاركنا في هذه المعايدة أيضاً: «أتمنى أن تتوقف المشاهد البشعة في بلدنا وليس فقط تهدئة للنفوس كفنانين ولا نسعى للخروج خارج سورية وأتمنى أن تقلب الآية ليأتي الناس للعمل في سورية وأن تكون السينما السورية حاضرة في حياتنا أكثر وحاضرة عالمياً وكذلك أن تنعم الشام بجمالها الذي يستحق».

في سورية ظرفنا يختلف وحبنا أصبح حالة من التحدي للظروف القاهرة التي عشنا فيها مرغمين فالأزمة كانت اللون الأكثر سوداوية على الجميع، وعلى الرغم من ذلك نرى الابتسامة تحدياً ونرى صناعة الفرح من اختصاصنا ونجد قوة الجميع واضحة في رغبة الحياة والتجدد.

المحبة أكثر

الفنانة «نغم ناعسة» شاركتنا في معايدتها أيضاً: «كما كل عام... نحب المحبة أكثر.. نتعلق بها. وكلما زاد الخوف في عام نتمنى أن يمر بسرعة الريح.. كل عام أخاف على بلدي أكثر وأثق بأن العام الذي سيليه سيكون السلام.. أتمنى هذا العام أن أرى السلام في بلدي حقيقيا كما أراه في قلبي كل عام وسورية سالمة».

متعبة جداً

الفنانة «آلاء عفاش» قالت: «آسفة كتير بس جد متعبة لحد مو قدرانة قول معايدة بس فيي قلك الله يمنحنا القوة لنقدر نكمل للسنة الجاية ونعيش أيام السنة الجاية بخير».

بلد للحب

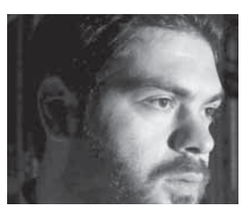

الفنان «مهران نعمو»: «بتمنى تكون سنة بداية حب لبلد عطشان للحب وبدي قول لكل أم شهيد كل سنه وأنت أمنا كلنا».

سوريون محبون

الفنان «مازن عباس»: «بتمنا عام بلا كابوس الحرب السورية وبتمنى نصحى من الكابوس نرجع نشوف السوريين متل ماكانو طيبين محبين وصافين نرجع متل ما كنا سوريين».

عيد الميلاد كما رآه عمالقة الأدب الروسي

كانت نجمة بيت لحم تعاين المولود الراقد في المهد

مها محفوض محمد

أغلبية الروس يحتفلون بعيد الميلاد في ٧ كانون الثاني لأن الكنيسة الأرثوذكسية تتبع التقويم الذي وضعه يوليوس قيصر عام ٤٦ ق.م غير أن الأطفال الروس الذين لا صبر لهم في استقبال الهدايا لا يستطيعون انتظار هذا التاريخ المقدر فيقايضون مع عيد العام الجديد بينما الميلاد هو مناسبة دينية احتفالية تأتي لتختم موسم الأعياد والاحتفالات بعيد الميلاد الأرثوذكسي الذي يبدأ فعلياً ليلة السادس من كانون الثاني حين يذهب الناس لحضور قداس العيد قبل كسر الصيام ثم توزيع الكوتيا (طبق حبوب محلي) يقدم على طريقة القديسة «Cène» حيث يتم تحضيره في اثني عشر طبقاً وفقاً لعدد تلامذة السيد المسيح لكن فقط بعد أن تظهر أول نجمة في السماء، وعشية سهرة الميلاد هذا العام عادت مؤسسة RBTH الثقافية الروسية إلى تقاليد هذا العيد التي أول ما ظهرت عند عائلة رومانوف القيصرية وإلى الهدايا التي كانت تقدم في القصر، فتقاليد الاحتفال بهذه الليلة وشجرة الميلاد ظهرت في البلاط الروسي في عهد نيكولا الأول بفضل زوجته الأميرة شارلوت دوبروس حيث كان ينظم الحفل ليلة الميلاد فور انتهاء قداس الليل في صالة الإنشاد الموسيقي في المبنى المستدير للقصر الشتوي ولكل فرد من العائلة توضع شجرة خاصة به تقام بجانب طاولة عليها غطاء أبيض مملوء بالهدايا وكانت البارونة ماريا فريدريك تقف وراء الأبواب المغلقة لتدخل أولاد العائلة بمن فيهم أولاد القيصر إلى القاعة لاستلام الهدايا، وهكذا استمر تنظيم حفلات الميلاد بعد موت نيكولا الأول، ولكن تغيّر المكان، ففي عهد الكسندر الثاني أصبح إحياء ليلة الميلاد في القاعة الذهبية في القصر الشتوي وكان ولده الكسندر الثالث يفضل قصر كاتشينا حيث توضع شجيرات الميلاد في القاعة الصفراء أو الأرجوانية، بينما نيكولا الثاني كان يقضي الليلة في قصر ألكسندر في تسارسكوي سيلو (التي تشكل جزءاً من سان بطرسبورغ اليوم) وتتوج أشجار الميلاد بالشموع المضاءة وتوضع بجانبها الألعاب المطلية بالذهب والفضة ولم ينتقل الاحتفال إلى عامة الشعب إلا في عام ١٩٠٧ حين نزل القيصر مع أولاده والدوقة أولغا ألكسندروفنا ومعهم جيش من الحراس إلى ساحة جمعوا فيها الناس والأطفال ووزعوا عليهم أوراقاً مرقمة لإجراء القرعة للفوز بالهدايا وكان الحراس يأتون بالهدية إلى أولغا كي تقوم بتسليمها إلى الفائز ذلك لأن توزيع الهدايا بهذه الطريقة كان أمراً مسلياً لابن القيصر خاصة حين ربح أحدهم ساعة منبه فوضعها الحراس ترن أمامه ليستمتع برنينها قبل تسليمها للفائز.

لقد تركت أجواء عيد الميلاد هذه في ترفها عند القيصر وألمها عند الجماهير المهانة أثراً عميقاً لدى الكثير من الأدباء الروس عبر القرون، فقدموا أعمالاً رائعة في تصوير حياة أولئك الناس من الطبقات المسحوقة ووصف آلامهم كما فعل الكاتب فيودور دوستويفسكي الناقد اللاذع الذي كثيراً ما لفت انتباه القارئ إلى حال الفقراء في تلك المرحلة كوصفه للصبي الفقير في ليلة الميلاد وسط أجواء احتفالات المدينة حين يخرج من القبو الذي يقطنه مع والدته «الباردة كالجدار» حسب وصف الكاتب فيذهل الطفل حين يرى زينة المدينة ويمشي متثاقلاً بين الواجهات التي تعرض شجيرات الميلاد والألعاب وأطباق الحلوى بأنواعها المختلفة باللوز وألوانها الحمراء والصفراء غير أن ازدحام الناس يبعد الصبي فيرتمي على الأرض من آلام بطنه وشدة البرد القاسي يتكور في الساحة ويتلوى من الألم المبرح وبالكاد يفتح عينيه فيرى شجرة الميلاد في وجوه الأطفال الفرحين الذين أحاطوا به وتحلق بعضهم حوله يقبلونه عله ينهض، لكن ما حصل أن الطفل مات من البرد والألم ورفاقه الجدد ليسوا هؤلاء بل الأشقياء مثله الذي يقتلهم برد روسيا القاسي.

ولهذه الليلة حكايتها أيضاً عند معلم الدهاء في القرن التاسع عشر نيكولاي غوغول في إحدى قصصه الشعبية «في ليلة الميلاد» حيث يتمثل الشيطان بذاته مستفيداً من تلك الليلة الفريدة ليحوم حول الناس الطيبين وينفخ الأفكار السيئة في عقولهم كما يقرر ذات ليلة مغطاة بالثلج أن يختلس القمر من صفاء السماء ويزرع الفوضى في القرية قرب ديكانكا أما الفرسان المحليون فهم في بيوتهم يأكلون الكوتيا مع عائلاتهم وفي غضون ذلك ينسحب أعيان القوم في المدينة الواحد تلو الآخر إلى بيت أرملة ماكرة وينتهي بهم المطاف إلى الاختباء من دون احتراس في أكياس من الفحم.

طبعاً هي قصة خرافية من نسج خيال غوغول تستتر فيها الحيل ويتأوج التحليق السحري في سان بطرسبورغ للوصول إلى اختلاس خفّي القيصر ليلة الميلاد فتظهر عند غوغول خاصية الهجاء اللاذع حيث يسخر من الهوة الفاصلة بين الطيبة عند العامة وفساد الأخلاق عند الخاصة.

وليست الحال أفضل في الطرف الآخر من مراتب المجتمع كما يصور الأديب بوريس باسترناك في روايته الشهيرة «دكتور جيفاغو» التي تجري أحداثها في الأوساط الثرية في موسكو بداية القرن العشرين وفيها مشاهد من عيد الميلاد أيضاً حين تصل البطلة لارا في تلك السهرة وهي مصممة على تحدي المحامي كوماروفسكي الرجل المشبوه بنزاهته ويريد أن يقيم علاقة معها، يقول باسترناك: «يدور الراقصون ويستديرون حول أنفسهم بطريقة مدوخة أمام شجرة الميلاد التي تتنسم تحت الطبقات المضيئة فيها وبأناقتهم وحليهم يباشر المدعوون بالتهام ثمار المندرين وأطباق أخرى لذيذة كما يلعب كوماروفسكي لعبة الورق في صالون بومبيي وتصل الحفلة الراقصة إلى أوجها لتتوقف مشاركة الجميع فجأة حين يعلن أن لارا تحمل مسدساً»، أي إن هناك استعارة كاملة في توضيح القفزات الفجائية بين الألم الشخصي والسذاجة.

أما جوزيف برودسكي الشاعر الحائز جائزة نوبل للآداب فقد أنشد الميلاد شعراً حيث كان كل عام يحيي تلك الليلة بقصيدة ويروي قصة اللحظات الأولى من ولادة الطفل يسوع:

في فترة باردة وفي منطقة اعتادت القيظ
أكثر من البرودة وعلى أرض مستوية غير مرتفعة
ولد رضيع في مغارة كي ينقذ العالم
حيث العاصفة عاتية لا تشهدها الصحراء إلا شتاءً
وكانت نجمة بيت لحم تعاين المولود الراقد في المهد

فعند برودوسكي يختلف الأمر إذ تبدو رغبته في تجاوز وصف الطقوس وفرح الناس وآلامهم وفظاظة الآخرين كما لا يجوز تسويق عيد الميلاد الذي يرسل إلينا بكل بساطة رسالة المحبة والوئام والتطابق مع الغير والأريحية فبالنسبة إليه هذا هو المهم أياً تكن قناعاتنا الدينية.